أساليب القرآن الكريم في تنمية التفكير

- نموذج سورة الشورى -

د. شوكت محمد العمري *

* أستاذ مساعد - كلية العلوم التربوية - جامعة الزرقاء الأهلية - الأردن.

ملخص البحث:

سورة الشورى إحدى النماذج المتعددة في القرآن الكريم التي حلت المشكلة الإيمانية عن طريق لفت الانتباه إلى جميع أنماط التفكير وأنواعه، سواء ما يسمى بالتفكير المنطقي – وما يستتبعه من تفكير استدلالي، بشقيه الاستقرائي أو الاستنباطي – أو تفكير تحليلي منتظم متسلسل الخطوات، يبدأ بإثارة مشكلة ثم يقدم الملاحظات المتعددة من أجل فهم المشكلة وتحليلها، ثم وضع الفرضيات المتعددة، ثم التحقق من الفرضية والبرهنة عليها، ثم الوصول إلى النتائج والقوانين والقواعد العامة.

قدمت سورة الشورى نموذجاً تفكيرياً يمكن تلخيصه كما يلي:

أ – إثارة المشكلة الإيمانية بطريقة تقديم الموقف المحير أو المشكل "حم عسق " الآيتان الأولى والثانية من السورة.

ب – البحث في البدائل واختيار أفضلها للوصول إلى حل المشكلة الإيمانية،الآيات (٣-١٠).

ج – التفكير التحليلي المؤدي إلى حل المشكلة الإيمانية عن طريق الوسائل التالية:

١ – عرض المفاهيم الإيمانية الايجابية وتدعيمها، الآيات (١١-١٥).

٢ – عرض المفاهيم السلبية ومناقشتها والرد عليها، (الآيات ١٦-٢٤).

٣ – حل المشكلة الإيمانية تأملياً بمنهجية التفكير الاستدلالي بشقيه الاستقرائي والاستنباطي (الآيات ٢٥-٣٥).

٤ – حل المشكلة الإيمانية بمنهجية التفكير العملي الإجرائي، (الآيات ٣٦-٤٨).

د – الوصول إلى النتائج والقوانين والقواعد العامة المؤدية لحل المشكلة الإيمانية (الآيات ٤٩-٥٣).

– لوحظ أن هناك أنواعاً أخرى من التفكير جاءت في ثنايا آيات سورة الشورى: كالتفكير الناقد، والاستبصاري، والابتكاري، والمنطقي، والإبداعي والارتباطي الحر، والتفكر العميق، والمستنير. (انظر ما سبق).

كما لوحظ أن الآيات الكريمة تنعى على الكفار استعمال التفكير السطحي غير المتأمل، والذي يعتمد على آراء الأجيال السابقة.

- يمكن تعميم أنواع التفكير التي استعملتها سورة الشورى في حل المشكلة الإيمانية على جميع المشكلات التي يصادفها العقل البشري، سواء المشكلات الدينية أم العقلية، وسواء المشكلات المتعلقة بالتفكير وتنميته، أو المشكلات الإجرائية العملية التي تصادف الإنسان في حياته.
- يمكن النظر إلى سورة الشورى على أنها أحد النماذج القرآنية المتعددة التي حلت المشكلة الإيمانية: نظرياً باستعمال التفكير التأملي الناقد، وعملياً بعرض نموذج المسلم الذي قاده فكره التأملي إلى الإيمان بالله تعالى، فتخلق بالأخلاق الإيمانية التي دعا اليها الوحي.
- حلت سورة الشورى - أحد النماذج القرآنية المتعددة التي حلت المشكلة الإيمانية - مشكلة من هو الله سبحانه وتعالى؟ إنه مصدر الوحي، وباعث الرسل للناس بالإيمان، خالق السموات والأرض، صاحب الصراط المستقيم، الذي له ما في السموات والأرض، واليه تصير الأمور.
- يمكن النظر إلى كل مجموعة من الآيات الكريمة من آيات السورة بمنظار النموذج الكلي الذي قدمته السورة بشكل عام، فكل مجموعة من الآيات، بل كل آية أحياناً – تعطي نموذج التفكير التأملي أو التفكير المنطقي والخروج بالنتيجة الإيمانية كحل للمشكلة، كما حلته آيات السورة مجتمعة.
- يمكن دراسة القرآن الكريم من زوايا مختلفة "ولكنها جميعاً يمكن ان تنتهي إلى قطبين أساسيين: اللغة، والفكر" (دراز، ١٩٨٠: ١٥) وعن طريق اللغة يمكن فهم القرآن، وعن طريق التأمل في الفكر القرآني يمكن حل المشكلة الإيمانية.
- الرجوع إلى أهل العلم في الإجابة على جميع الأسئلة التفصيلية الواردة في البحث، ذلك أن هدف البحث ليس تفسير الآية، ولكن استخراج أنواع التفكير الموجود فيها.

أولاً – مقدمة:

القرآن الكريم أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يَحْصُل بعد من الملكات (ابن خلدون، ١٩٨٨: ٥٣٨). ولذا اهتم المسلمون باستقصاء أساليبه في تقرير مفاهيمه، ومن ضمنها: أسلوب تعليم التفكير وتنميته، لاستنتاج ومعرفة وفهم هذه المفاهيم، ذلك أن فائدة معرفة أسلوب التفكير كما يرى ذلك "دي بونو" تؤدي إلى "زيادة الرغبة في الإصغاء للآخرين، ونقص التمركز حول الذات، ونقص الاستخفاف أو التحقير لآراء الآخرين، وزيادة القبول أو التسامح إزاء وجهات النظر الأخرى، وتناقص الابتعاد عن صلب الموضوع، وزيادة الرغبة في التفكير في الموضوعات الجديدة، بدلاً من رفضها على اعتبار أنها سخيفة، واستخدام التفكير للاستكشاف بدلاً من استخدامه لتدعيم وجهة نظر معينة أو للدفاع عنها، واستخدام أشكال من التفكير غير تلك التي تتسم بالنقد المحض، ومعرفة ما ينبغي عمله بدلاً من انتظار فكرة من الأفكار" (دي بونو، ١٩٨٩: ٦-٦١).

من هنا فقد دعا القرآن الكريم إلى التفكير في آيات الله تعالى المقروءة وآياته تعالى المنظورة في الإنسان والكون والحياة. لهذا فان تمايز الناس وأفضليتهم تكون بمدى تعلم القرآن وتعليمه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه" (البخاري جـ٩، الحديث رقم ٥٠٢٨: ٧٤)، وفضيلة القرآن لا تكون إلا بفهمه وتدبره، وعدم تلاوته إلا للتفكير في آياته، فقد أمر رسول صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو بتلاوته في كل شهر، فقال صلى الله عليه وسلم له: " (اقرأ القرآن في شهر)، قلت: إني أجد قوة، حتى قال: (في سبع، ولا تزد على ذلك) "(البخاري، جـ ٩، الحديث رقم ٥٠٥٤: ٩٥) ومفهوم الحديث يقتضي عدم جواز قراءة القرآن إلا مع التدبر، لأن من يقرؤه في أقل من سبع ليال لا يستطيع فهمه ولا تدبره، بل يقول ابن كثير: " سياق الحديث ظاهره يقتضي المنع من قراءة القرآن في أقل من سبع "(ابن كثير، جـ٤، فضائل القرآن: ٤٩).

وحتى يتمكن الباحث من التعريف بأساليب تنمية التفكير في سورة الشورى بيّن بعض أساليب القرآن الكريم في الدعوة إلى التفكير. ثم المقصود بمصطلح

التفكير وتفسير عملية التفكير وأنواعه المتعددة كما هي في الأدب التربوي الحديث. ثم عمد إلى توضيح أساليب التفكير كما طرحتها سورة الشورى من خلال تقديم نموذج يحتوي على: أسلوب إثارة المشكلة بطريقة تقديم الموقف المحير، ثم اختيار أفضل البدائل للوصول إلى حل المشكلة، ثم الوصول إلى التفكير التحليلي المنتظم المتسلسل الخطوات للوصول إلى النتائج والقوانين والقواعد العامة التي تحل مشكلة الإنسانية في إعراضها عن مبدأ الإيمان بالله تعالى.

ثانياً: هدف الدراسة:

يتمثل هدف الدراسة في محاولة الكشف عن بعض أساليب القرآن الكريم في تنمية التفكير بشكل عام، ثم محاولة الكشف بشكل خاص عن بعض أساليب سورة الشورى إحدى سور القرآن الكريم- في تنمية التفكير، وذلك بهدف الوصول إلى حل المشكلة الإيمانية.

ثالثاً: تحديد المشكلة وأسئلة الدراسة:

تحاول هذه الدراسة التعرف على بعض أساليب القرآن الكريم في تنمية التفكير من خلال طرح نموذج سورة الشورى لأساليب تنمية التفكير. ولذا يمكن تحديد مشكلة الدراسة بطرح السؤال الرئيس التالي وهو: "ما أساليب تنمية التفكير في القرآن الكريم كما طرحته سورة الشورى"؟

ويمكن أن يتفرع من السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية التالية:

١ – كيف استخدمت سورة الشورى أسلوب إثارة المشكلة بطريقة الموقف المحير أو المشكل؟

٢ – ما البدائل العقلية التي اختارتها سورة الشورى لحل المشكلة الإيمانية؟

٣ – ما أنواع التفكير التحليلي الذي احتوته سورة الشورى لحل المشكلة الإيمانية؟

٤ – كيف استطاعت سورة الشورى الوصول إلى النتائج والقوانين والقواعد العامة المؤدية لحل المشكلة الإيمانية؟

رابعاً: موضوع البحث وأهميته:

يتناول البحث موضوع" بعض أساليب القرآن الكريم في تنمية التفكير - نموذج سورة الشورى- وتكمن أهمية هذه الدراسة فيما يلي:

١ – الأهمية الكبيرة لموضوع تنمية التفكير كما نستخلصه من سور القرآن الكريم بشكل عام.

٢ – أهمية عرض أساليب تنمية التفكير من خلال سورة محدودة في القرآن الكريم، وهي سورة الشورى.

٣ – حاجة التربويين بشكل عام والتربويين المسلمين بشكل خاص للموضوع

٤ – رغبة الباحث في تأصيل هذا الموضوع التربوي الهام

وعليه فقد اختار الباحث نموذج سورة الشورى في تنمية التفكير، ليتبين كيف استطاع هذا النموذج الوصول بتالي القرآن وسامعه إلى الإيمان بالله تعالى.

خامساً: الدعوة إلى التفكير:

أ- آيات القرآن الكريم والدعوة للتفكير:

تضمن القرآن الكريم صيغاً كثيرة تدعو إلى التعقل والتفكر والتدبر، وقد أورد سعيد إسماعيل علي الإحصائية التالية التي تدل على مدى استخدام القرآن الكريم لمفاهيم التفكير ومتعلقاتها كما يلي: (علي، ١٩٨٢: ٢١٨-٢١٩) (العمري، ١٦٤-١٦٥)

جاءت مادة: الفكر في نحو ثماني عشرة آية، والفقه بمعنى الفهم في نحو عشرين آية.

العلم مرادا به علم الناس . لا علم الله تعالى في نحو مائة وست آيات كريمة، ومادة الرأي في نحو ثمانين آية، ومادة النظر في نحو ثلاث وعشرين آية، ومادة البصيرة في نحو ثلاث وعشرين آية، ومادة العقل في نحو مائة وثلاث وثلاثين آية، ومادة النُّهي بمعنى العقول في آيتين، والفؤاد بمعنى العقل

في ست عشرة آية. ومادة اللب بمعنى العقل في ست عشرة آية، ومادة التدبر في أربع آيات ومادة الفهم في آية واحدة.

وقد تنوعت أساليب القرآن الكريم في الحث على التفكر والتفكير، فأحياناً يأتي الحث على التفكير على لسان الأنبياء والرسل، ومثال ذلك قول الله عز وجل على لسان نوح عليه السلام ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ (سورة نوح، ١٣-١٦).

- وأحياناً يأتي الحث على التفكر والتفكير في صورة الثناء على أولي الألباب، ومثال ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ (سورة آل عمران، ١٩٠-١٩١).
- وأحياناً تأتي الآيات الكريمة الحاضّة على التفكر والتفكير من خلال التفكر في نعم الله تعالى التي أعطاها الإنسان وسخرها له، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ (النحل، ٦٥-٦٦).
- وأحياناً تأتي الآيات الكريمة حاضّة على التفكير، من خلال الخطاب المبدوء بسؤال استنكاري كقوله تعالى ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾﴾ (سورة سبأ، ٩).

وأسلوب القرآن الكريم "في دعوته إلى الإيمان والفضيلة لا يسوق الدروس من التعاليم الدينية والأحداث الجارية وحدها، وإنما يستخدم في هذا الشأن

الحقائق الكونية الدائمة، ويدعو عقولنا إلى تأمل قوانينها الثابتة - لا بغرض دراستها وفهمها في ذاتها فحسب- وانما لأنها تذكر بالخالق الحكيم القادر" (دراز،١٩٨٠: ١٧٦). وهكذا يحث القرآن الكريم "على التفكير بأساليب متعددة، تلفت نظر الإنسان إلى الكون وما فيه من جمال ومتاع وانتفاع، والى الإنسان وما فيه من آيات، والى الحياة وما فيها من أسرار" (بدري، ١٩٩٢: ٦٢-٧١).

ب- دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم للتفكير:

احتوى الحديث النبوي الشريف قدراً كبيراً من الألفاظ والأفكار الدالة على ضرورة التفكر والتدبر والفهم، بل ذكر الحديث الشريف التالي أهمية العقل صراحة فقال صلى الله عليه وسلم " ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل "(الزين، ١٩٩١: ٢٥٣) ٬(انظر الكامل في ضعفاء الرجال، ج٦، ص ١٣).

وقد تنوعت أساليب الحديث النبوي الشريف في الدعوة إلى التفكر والتفكير:

- رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشأن الآية ١٦٤ من سورة البقرة ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾. روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال "ويلٌ لمن قرأ هذه الآية فمجّ بها" أي لم يتفكر فيها ولم يعتبرها (القرطبي، جـ٢، ١٩٨٧: ٢٠١).
- كما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بينما رجل مستلقٍ على فراشه إذ رفع رأسه فنظر إلى النجوم والى السماء فقال: أشهد أن لكِ رباً وخالقاً، اللهم اغفر لي، فنظر الله إليه فغفر له" (القرطبي، جـ٤، ١٩٨٧، ص ٣١٤).
- بل اعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم التفكر والتفكير في الكون وما فيه، عبادة يتقرب بها المسلم إلى الله تعالى، بل هي أفضل العبادات، " قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم "لا عبادة كتفكر" وُروي عنه عليه السلام قال: " تفكر ساعة خير من عبادة سنة" (المرجع السابق الصفحة نفسها).

- وقد حدد الرسول صلى الله عليه وسلم حدود التفكير، فجعله في كل شيء بشكل مطلق، فيما عدا التفكير في ذات الله تعالى، فقد "مرَّ النبي صلى الله عليه وسلم على قوم يتفكرون في الله فقال: تفكروا في الخلق، ولا تتفكروا في الخالق، فإنكم لا تقدرون قدره" (المرجع السابق الصفحة نفسها).
- كما اعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم: "أن التفكر في ذات الله تعالى من وسواس الشيطان" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي الشيطان أحدكم فيقول "من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول: من خلق رّبك ؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينتهِ" (البخاري، جـ٦، رقم ٣٢٧٦: ٣٣٦).
- ربط رسول صلى الله عليه وسلم بين مظاهر الكون من الشمس والقمر، وبين التفكر والعبادة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله" (البخاري، جـ٦، رقم ٣٢٠٢: ٢٩٧). وهكذا، فقد عرّف الرسول صلى الله عليه وسلم الشمس والقمر بأنهما آيتان من آيات الله الدالة على عظيم قدرته وصنعته، وواجب المسلم التفكير ببديع صنعهما والوظائف المنوطة بهما، وكونهما آيتان مسخرتان لخدمة الإنسان غير مرتبطتين بدعاوى الجاهلية القائلة: بأنهما يخسفان لموت عظيم من عظماء الدنيا.
- كما فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم منهجية التفكير من خلال القرآن الكريم، ففي ضوء فهم الآية الكريمة ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى...﴾ (سورة البقرة، ٢٦٠). قرر الرسول صلى الله عليه وسلم منهجية الشك في الوصول إلى المعرفة فقال صلى الله عليه وسلم " نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال ربّ أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن ؟ قال: بلى ولكن ليطمئن قلبي" (البخاري، جـ٨، رقم ٤٥٣٧: ٢٠١) فالاطمئنان واليقين والوصول إلى درجة حل المشكلة لا يكون إلا بعد التفكر والشك، ثم الوصول إلى اليقين.

جـ – فهم الصحابة لأهمية التفكر والتفكير:

وقد فهم السلف الصالح من الصحابة الكرام وغيرهم من رسول صلى الله عليه وسلم أهمية التفكر والتفكير في خلق الكون وما فيه، وأنه عبادة يتقرب بها المسلم إلى الله تعالى.

"روى ابن القاسم عن مالك قال: "قيل لأم الدرداء: ما كان أكثر شأن أبي الدرداء ؟ قالت: كان أكثر شأنه التفكر"... وقال الحسن: تفكر ساعة خير من قيام ليلة" (القرطبي، جـ٤، ١٩٨٧: ٣١٤).

د – اختلاف الفقهاء في أفضلية التفكر أم صلاة النافلة

وقد اختلف الفقهاء في أي العبادتين أفضل التفكر أم صلاة النافلة ؟

قال ابن العربي: اختلف الناس أي العملين أفضل: التفكر أم الصلاة (المقصود بالصلاة هنا صلاة النافلة كقيام الليل وليست صلاة الفريضة)... فذهبت الصوفية إلى أن التفكر أفضل، فانه يثمر المعرفة وهو أفضل المقامات الشرعية، وذهب الفقهاء إلى أن الصلاة أفضل (القرطبي، جـ٤، ١٩٨٧: ٣١٥)... ثم يستطرد القرطبي مبيناً رأيه في خطأ منهج الصوفية في استمرارية التفكر والتفكير الأيام والشهور، وأنه نهج بعيد عن الصواب، غير واقعي قائلاً " فأما طريقة الصوفية أن يكون الشيخ منهم يوماً وليلة وشهراً مفكراً لا يفتر، فطريقة بعيدة عن الصواب، غير لائقة بالبشر، ولا مستمرة على السنين (المرجع السابق الصفحة نفسها).

وهكذا فإن رأي القرطبي مع التفكر والتفكير، ولكن بصورة واقعية بعيدة عن الشطط والتطرف.

سادساً: تفسير عملية التفكير:

وحتى يمكن تفسير عملية التفكير فيرى الباحث أن يبين المقصود بمصطلح التفكير، ثم يعرض إلى الاتجاهات المتعددة التي تفسر عملية التفكير ثم يبين أنواع التفكير المتعددة، وذلك كما يلي:

أ - المقصود بمصطلح التفكير:

التفكير عملية تجري داخل الإنسان، لا يمكن ملاحظتها بصورة مباشرة، لذا كان من الصعب تحديد تعريف لهذا المصطلح ذلك "أن أكبر مشكلة تتمثل في أن التفكير عملية داخلية أو غير مرئية" بصفة جوهرية، فلا يمكن ملاحظته مباشرة، ولكن يمكن أن يستدل عليه من أنواع السلوك الأخرى التي يمكن قياسها، وعلى الرغم من أنه غالباً ما يعزى إلى النشاط العقلي (العمليات العقلية)، إلا أننا لا نستطيع تحقيق تسجيل مباشر لنشاط العقل، ولا نستطيع ملاحظة العمليات العقلية، بصورة مباشرة، ولكن يمكننا إجراء استنتاجات عن التفكير، على أساس مستوى الأداء اللاحق" (ويتيج، ١٩٨١: ٢١١).

وقد أشار (اللقاني، ١٩٧٩: ٥٠) إلى أن التفكير ليس عملية وصف لشيء عن طريق الإدراك أو الاسترجاع، ولكنه استخدام المعلومات حول شيء ما للتوصل إلى شيء آخر من خلال ما يسمى بالابتكار.

أما العالم "دي بونو" فقد رفض التعريفات المتعارف عليها للتفكير كالقول: بأنه (نشاط عقلي) أو أن التفكير يعني المنطق أو تحكيم العقل، لأنه يعتبر أن هذه التعريفات قاصرة ولا تشتمل جميع مظاهر التفكير، لذا عرفه بأنه "التقصّي المدروس للخبرة من أجل غرض ما، وقد يكون ذلك الغرض هو الفهم، أو اتخاذ القرار، أو التخطيط، أو حل المشكلات، أو الحكم على الأشياء، أو القيام بعمل ما. وهكذا" (دي بونو، ١٩٨٩: ٤٢).

وقد حدد "أحمد عزت راجح" معنيين لمصطلح التفكير أحدهما واسع، والآخر ضيق؛ ويقصد بالتفكير في معناه الواسع "مجرى من الأفكار والألفاظ والصور الذهنية يعرض لخاطر الفرد، كما هو الحال في التذكر والتخيل وأحلام اليقظة" (راجح، ١٩٧٧: ٢٣٢).

كما قصد بالتفكير في معناه الضيق بأنه "نشاط العقل حين تصادفه مشكلة تستوقفه، أو موقف يحيّره، فيحاول حلّ هذه المشكلة، والخروج من هذا الموقف. ففي هذه الحالة فإن الفرد يقوم بتعبئة قواه العقلية المختلفة من تذكر

وتخيل وحكم وفهم وتعليل واستنتاج ونقد، حتى يصل إلى حل أو نتيجة أو قرار "(المرجع السابق الصفحة نفسها)

من خلال التعريفات السابقة فإنه يمكن للباحث أن يعرف **التفكير** بأنه: نشاط عقلي داخلي يقوم باستخدام المعلومات المتوافرة لديه، للتوصل إلى فكرة معينة والحكم عليها.

ب- اتجاهات في تفسير عملية التفكير:

هناك مجموعة من النظريات والاتجاهات التي حاولت تفسير عملية التفكير، وتفسير الطريقة التي يستقبل بها الفرد الخبرة وينظمها ويسجلها، ومن ثم يقوم بهضمها وإدراجها في مخزونه المعرفي، ليحل بها المشكلة التي تعترضه، ومن هذه النظريات والاتجاهات في تفسير عملية التفكير:

- الاتجاهات السلوكية في تفسير عملية التفكير:

وتعتمد هذه الاتجاهات - بغض النظر عن الآراء التفصيلية لأصحابها - على مباديء النظرية الربطية التي تربط بين المثير والاستجابة، ذلك أن الفرد "يقوم بعدة محاولات أو استجابات محتملة أو ممكنة يختار من بينها الاستجابة التي توصله إلى الهدف" (الخلايلة، ١٩٩٠: ٢١) ومن أهم المنادين بهذا الاتجاه. ثورندايك صاحب نظرية الارتباط، وبافلوب صاحب نظرية التعلم الشرطي الكلاسيكي، "وسكنر" صاحب نظرية التعلم الشرطي الإجرائي أو الو سيلي "وكلارك هل" صاحب المدرسة "السلوكية الجديدة" وقد تجاهل "كلارك هل" الاهتمام بالعمليات العقلية المعرفية العليا، اعتماداً على منطق يرى أن قوانين هذه العمليات ومبادئها يمكن اشتقاقها كعمليات ثانوية من المسلمات التي تحكم مباديء السلوك الأساسية، ومن خلال قوانين التعلم الشرطي خاصة" (عثمان، ١٩٧٨: ٤١).

- الاتجاهات المعرفية في تفسير عملية التفكير:

يقوم هذا الاتجاه على افتراض أن العقل هو أداة المعرفة وهو الذي يهييء المعالجة للعمليات العقلية المتعددة: مثل الانتباه، والإدراك، والتفكير، والاستبصار والتذكر...

كما يقوم هذا الاتجاه على أساس "أن البشر يضعون فرضيات معينة حول الطريقة التي يريدون اتباعها لحل مشكلة، ما بعيداً عن الانهماك في عملية التجربة والخطأ التي ظهرت لدى قطط ثورندايك وفئران سكنر..... ويتمثل الجانب الأساسي لهذا الاتجاه - المعرفي- في أن الشخص الذي يقوم بحل مشكلة يتلقى تغذية راجعة من البيئة المحيطة به تمكنه من معرفة ما إذا كانت فرضيات صحيحة أم لا" (جرين، ١٩٩٠: ٣٦-٣٧).

ويمكن إلحاق نظرية الجشتلط الكلية - بالاتجاهات المعرفية في التفكير خصوصاً وهي تعرف المشكلة "على أنها حالة انعدام توازن في المجال المعرفي يجب إصلاحه عن طريق إعادة بناء أو تشكيل هذا المجال في هيئة توازن جديد أو شكل منتظم" ومع ذلك فإن النظرية الجشتلطية "لا تشير إلى ما يفيد عن الكيفية التي تعمل بها القوى الحقيقية التي توصل إلى حل المشكلة بدلاً من الاستراتيجيات والقوانين الفعالة التي أشارت إليها النظرية المعرفية" (المرجع السابق الصفحة نفسها).

ويسمى الجشتالطيون القوى التي توصل إلى حل المشكلة بالتفكير الإنتاجي لأن العادات والسلوكات السابقة يتم إعادة إنتاجها واستعمالها.

- الاتجاهات الإنسانية في تفسير عملية التفكير:

ويمثل هذا الاتجاه مجموعة من العلماء من أمثال بستالوزي وفروبل ومنتسوري وغيرهم.

يرى بستالوزي أن تعليم التفكير يقوم على خبرات الفرد نفسه حيث يبدأ تعليم التفكير بالتفكير في الأشياء البسيطة والمحيطة، ويتدرج في ذلك بشكل منطقي ومتسلسل "ومن خلال تزويد الفرد بالمعارف يمكن توليد المهارة في التفكير" (مرسي، ١٩٨٣: ١٩٧).

أما نموذج فروبل في تعليم التفكير فيقوم على أساس "أن إتاحة الفرص أمام الفرد تسهم في تعلمه التفكير الواقعي والتكيف مع حاجات البيئة، ويمكن

أن يكون ذلك عن طريق إتاحة فرص النشاط الذاتي للتعرف على ما حوله، وهذا ينشط وعي الطفل لما حوله" (قطامي، ١٩٩٠: ٣٨١).

- اتجاه هيلدا تابا الاستقرائي في تفسير عملية التفكير:

ترى "هيلدا تابا " أن مهارات التفكير ينبغي أن تدرس باستخدام استراتيجيات تعليمية معينة ومصممة لتلك المهارات، وتسمى هذه الاستراتيجيات باستراتيجيات تعليم التفكير "(قطامي، ١٩٩٠: ٤٠٦).

وقد حددت هيلدا تابا ثلاث استراتيجيات (Joyce, 1986,) لتطوير التفكير الاستقرائي وهي:

١ – مرحلة تكوين المفهوم.

٢ – مرحلة تفسير المعلومات.

٣ – مرحلة تطبيق المباديء.

- اتجاهات أخرى في تفسير عملية التفكير:

هناك نظريات متعددة ذات علاقة بالنظريات السابقة، كنظرية معالجة المعلومات التي ترتبط بالنظريات المعرفية بشكل كبير، ونظرية النمو المعرفي عند "بياجيه" حيث يمكن تلخيص عملية التفكير من خلال "قدرة الطفل على تمثيل العالم الذي حوله وتفهمه رمزياً تنتج من استدماج الطفل للأفعال الحسية ضمن نظامه المعرفي" (جرين، ١٩٩٠: ١١).

جـ – أنواع التفكير:

هناك أنواع متعددة من صور التفكير وأنماطه، ومنها:

- التفكير المنطقي:

وهو الحكم الأنسب الذي يحكم به الفرد على قضية بشكل يربط فيها النتائج بالأسباب من خلال القدرة على اكتشاف العلاقات بين الأشياء أو عدم وجودها.

ويطلق عليه أحياناً التفكير الاستدلالي حين يكون مقدار المعلومات كبيراً،

ووجهة الحل تقاربية، لذا يمكن تعريفه بأنه "ذلك النمط من التفكير الذي يتطلب – في تصورنا – استخدام أكبر قدر من المعلومات بهدف الوصول إلى حلول تقاربية سواء أكانت هذه الحلول أنتاجية أو انتقائية (أبو حطب، ١٩٩٢: ٣٠٢)" ويعتمد التفكير المنطقي على عمليتي الاستقراء والاستنباط" (السيد، ١٩٧٩: ١٧٣).

ويقصد بالطريقة الاستقرائية "الطريقة التي يمكن بها الوصول إلى أحكام عامة بوساطة الملاحظة والمشاهدة الحسية، وهدفها تكوين حكم عام مبني على حقائق جزئية" (أغروس، ١٩٨٩: ١٦٤).

أما الطريقة الاستنباطية فإنها "تستخدم وسيلة القياس لإثبات صدق نتيجة أو حقيقة معينة" (الخلايلة، ١٩٩٠: ٧٨).

ويتكون التفكير المنطقي من أربعة من المكونات (قطامي، ١٩٩٠: ٥٠٩) هي:

١ – الشعور بالحيرة والتردد أو الحاجة إلى التفكير لمواجهة موقف أو صعوبة.

٢ – تنظيم الخبرات الذهنية المتوافرة لدى الفرد، وحصرها في طريق خاص.

٣ – اختبار ما يتوافر من الآراء، وتحليلها، والمقارنة والمقابلة بين بعضها البعض.

٤ – اختبار أفضل البدائل للوصول إلى حل الصعوبة أو إيجاد جوانب لمشكلة عرضت للفرد.

من هنا يمكن أن نخلص إلى أهمية تعريف" شانر" للتفكير المنطقي بأنه " التفكير الذي نمارسه عندما نحاول أن نتبين الأسباب والعلل التي تكمن وراء الأشياء، وهو التفكير الذي نمارسه عندما نحاول معرفة نتائج أعمالنا، ولكنه أكثر من مجرد تحديد الأسباب أو النتائج، إنه يعني الحصول على أدلة تؤيد أو تثبت صحة وجهة نظرك أو تنفيها "(شانر، ١٩٦١: ١٦).

- التفكير الحدسي:

قد يصل الفرد إلى استنتاجات معينة دون أن يستطيع شرح الأسس التي تقوم عليها هذه الاستنتاجات.

عرف برونر الحدس بأنه "أسلوب عقلي للوصول إلى صيغ مبدئية ولكن مقبولة، دون اللجوء إلى الخطوات التحليلية التي يمكن بها البرهنة على أن هذه الصيغ هي نتائج صحيحة أو غير صحيحة" (Bruner, 1963: 13).

ويلجأ الشخص – عادة – إلى التفكير الحدسي عندما تكون المعلومات المتوافرة لديه قليلة ووجهته في الحل تقاربية، عندها يمكن للفرد أن يدرك المعنى لموقف ما دون الاعتماد المباشر في ذلك على العملية التحليلية للفرد.

وقد عرفه "يونج" بأنه: "عملية الإدراك اللاشعوري المباشر للإمكانات والاحتمالات الكامنة في الأشياء التي ننتبه لها، سواء كانت خارجية أو داخلية، وهي عملية كلية، تؤخذ نواتجها من المدركات، على أنها تحمل في طياتها طابع اليقين، كما أن الوظائف العقلية الأخرى قد تسهم في تعديله" (عثمان، ١٩٧٨: ٢٤١).

- التفكير التحليلي:

هو تفكير منتظم متسلسل، له خطوات ثابتة تؤدي إلى حل مشكلة تعترض الفرد.

ويقوم على افتراضات، منها: أن التفكير عملية ذهنية تهدف إلى حل مشكلة معقدة من خلال استدعاء الخبرات السابقة المرتبطة بالموقف نفسه، حيث تسير عملية التفكير وفق خطوات منتظمة ومتتابعة، تضع فروضاً لقضية من القضايا، ثم يختار الحل الأنسب لتلك القضية.

وقد صاغ "ديوي" في كتابه كيف نفكر؟ طريقة التفكير التحليلي كما يلي:

١ – وجود مشكلة تواجه الفرد وتدفعه إلى القيام بالنشاطات الضرورية للحل.

٢ – الملاحظة والمشاهدة لجمع المعلومات الضرورية عن المشكلة من أجل فهمها.

٣ – وضع الفروض بعد جمع المعلومات، وتحقيق المشكلة وتحليلها.

٤ – تحقيق هذه الفروض والبرهان عليها وإثباتها بمعلومات أخرى وبما لدى الفرد من خبرات سابقة.

٥ – الوصول إلى النتائج القطعية والقوانين والقواعد العامة.

يلاحظ أن كل نقطة مقدمة ضرورية للنقطة التي تليها، ولا فائدة من النقطة اللاحقة إذا لم تعتمد على ما سبقها.

وقد حددت "جودث جرين" (جرين، ١٩٩٠: ١٣) ستة مستويات لحل المشكلة، تبدأ من المستوى الأول حين يكون حل المشكلة معروفاً للإنسان، ثم المستوى الثاني، حين تكون القواعد التي تمكن الإنسان من التوصل إلى حل المشكلة معروفة لديه مسبقاً. ثم المستوى الثالث، حيث يتعلم الإنسان الإجابات الصحيحة للمشكلة في أثناء حلّه لها، ثم المستوى الرابع حيث ينتقي الفرد ويقوم العمليات العقلية التي توصله إلى حل المشكلة، ثم المستوى الخامس، حيث يتعين فيه على الإنسان إعادة صياغة المشكلة أو تكوينها، ثم يعطي في هذا المستوى الحل المبتكر، أو يتوصل إلى طريقة مبتكرة لحل المشكلة، وأخيراً نصل إلى المستوى السادس الذي يتعين فيه على الإنسان إدراك المشكلة التي تواجهه حيث يحتاج إلى تفسيرها.

وعليه فإنه عند النظر إلى المستويات الستة لحل المشكلة فإنه يتبين لنا أن مستوى التفكير المناسب لحل مشكلة ما، يعتمد على خبراتنا الماضية بمشكلة مشابهة لما نحن بصدده.

ويمكن تقسيم عمليات التفكير المتضمنة في محاولة حل المشكلة إلى نوعين هما:

١ – **التفكير الموجه:** وهو تفكير عميق بهدف تحقيق شيء معين من خلال عمليات ذهنية راقية، مثل الذاكرة والتخيل وتكوين الارتباط " ويعد كل من الاستدلال وحل المشكلة وتعلم المفاهيم أمثلة شائعة للتفكير الموجه" (قطامي، ١٩٩٠: ٦٠٢).

٢ – **التفكير الذاتي:** وهو تفكير غير هادف، أو غير منتج، أو غير موجه، "يحدث هذا التفكير بلا قصد، كما في حالة أحلام اليقظة أو الخيال" (ويتيج، ١٩٨١: ٢١٢)

- **أنواع أخرى من التفكير:**

وهناك أنواع أخرى للتفكير، مثل:

- **التفكير الناقد:** الذي عرفه "ينيس" بأنه "تفكير تأملي معقول، يركز على اتخاذ القرار فيما يفكر فيه أو يتم أداؤه" (Enniss, R.H: 699).
- **التفكير الاستبصاري:** وهو ظاهرة تحدث في عملية حل المشكلة، حيث يتعرف الفرد إلى المشكلة، بيد أنه يواجه صعوبة في حلها لبعض الوقت، ثم يتوصل إلى الحل فجأة "(ويتيج، ١٩٨١: ٢١٩) وقد سماه (اللقاني ١٩٧٩:٢٩) بالتفكير التأملي.
- **التفكير الابتكاري:** "وهو أسلوب يتميز بتقديم حلول أصيلة وبناءة وغير عادية للمشكلات" (ويتيج، ١٩٨١: ٢١٩).
- **التفكير المنطلق:** (ويتيج، ١٩٨١: ٢١٩) وهو نوع من التفكير يهدف إلى إيجاد حل جديد أو مختلف أو غير معروف لمشكلة ما.
- **التفكير الإبداعي:** نشاط عقلي يقود إلى إنتاج يتصف بالجدة والأصالة والقيمة من أجل خدمة المجتمع، وبالتالي هو إيجاد حلول جديدة للأفكار والمشكلات والمناهج.(قطامي ١٩٩٠: ٦٤٩).
- **التفكير الارتباطي الحر** (أبو حطب، ١٩٩٢: ٣٠٢) وهو تفكير يظهر عندما يكون مقدار المعلومات قليلاً ووجهة الحل تبا عدية، وعكسه هو التفكير الارتباطي المقيد (الطلاقة المقيدة)، ويظهر عندما يكون مقدار المعلومات كبيراً، ووجهة الحل تباعدية.

وقد قسم سميح عاطف الزين الفكر إلى ثلاثة أقسام، هي: **الفكر السطحي، والفكر العميق، والفكر المستنير**، وعرفها كما يلي (الزين، ١٩٩١: ٢٦٣).

أ – الفكر السطحي: هو النظر إلى الشيء والحكم عليه بدون فهم.

ب – الفكر العميق: هو النظر إلى الشيء وفهمه، ثم الحكم عليه.

جـ – الفكر المستنير: هو النظر إلى الشيء وفهمه، وفهم ما يتعلق به، ثم الحكم عليه.

وقد فرق بين هذه الأنواع من التفكير واعتبر، أهمها الفكر المستنير فقال: "إن التفكير العميق لا يكفي وحده لإنهاض الإنسان ورفع مستواه الفكري، بل لابدَّ حتى يحصل ذلك من الاستنارة في الفكر، وهي التي توجد الارتفاع الفكري الذي يؤدي بدوره إلى النهوض" (الزين، ١٩٩١: ٢٦٧).

تلك هي نظرة سريعة تبين المقصود بمصطلح التفكير كما ورد في الأدب التربوي الحديث، ثم ماهية النظريات والاتجاهات التي قامت بتفسير عملية التفكر، ثم أنماط التفكير وأنواعه.

هذه المقدمة النظرية يرى الباحث أهميتها وضرورتها كأرضية للحديث عن القرآن الكريم وبعض أساليبه في تعليم التفكير، وقد اختار الباحث سورة الشورى كنموذج استعمله القرآن الكريم في تنمية التفكير، للوصول بالفرد إلى الإيمان بالله تعالى أصل الإسلام كهدف نهائي للرسالات السماوية جميعها، ومن خلال تنمية تفكير سامع القرآن الكريم وتالية، تتحقق نظرة الإسلام في الإنسان والكون والحياة.

سابعاً: تعريف عام بسورة الشورى وسبب اختيارها:

نزلت سورة الشورى في مكة المكرمة، وموضوعها هو موضوع السور المكية، فهي تعالج أمور العقيدة: "الوحدانية، الرسالة، البعث والجزاء، والمحور الذي تدور عليه السورة هو الوحي والرسالة" (الصابوني، ١٩٧٨: ٢٠٢)، وقد سميت بهذا الاسم لاحتوائها على قوله تعالى ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (سورة الشورى، ٣٨) وبالتالي لأهمية الشورى في الحياة الإسلامية.

هذا وقد ركزت السورة على معالجة قضية العقيدة، وبصفة خاصة على حقيقة الوحي والرسالة، وعن طريق ذلك حلت المشكلة الإيمانية لدى قارىء القرآن.

وسورة الشورى هي إحدى سور الجزء الخامس والعشرين، وعدد آياتها ثلاث وخمسون آية، كلها مكية "إلا أربع آيات مدنية" هي ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى...﴾ إلى آخرها (القرطبي، جـ١٦، ١٩٨٧: ١).

وأما سبب اختيار سورة الشورى: فإن الباحث يعتقد أن القرآن الكريم خاطب العقل وحض على التفكير في جميع سوره الكريمة، لذا فجميع سور القرآن الكريم تصل بفكر القارئ إلى حقيقة الاعتقاد بالإيمان بالله تعالى وما يستتبعه من أركان العقيدة الإسلامية الأخرى.

وسورة الشورى تمثل الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى، وخصوصاً التركيز على قضيتي الوحي والرسالة الموحى بها من عند الله تعالى.

لذا ينطلق الباحث من فرضية مؤداها أن سورة الشورى تدعو إلى مفاهيم العقيدة (الوحي والرسالة) من خلال التفكر والتفكير المؤدي إلى الإيمان بهذه العقيدة.

كما ينطلق الباحث من أن سورة الشورى جاءت ببعض المفاهيم الشرعية مثل الشورى، ووضحته من خلال التفكر والتفكير، باعتباره أسلوبا يؤدى إلى تصور المبدأ، بغض النظر عن أساليب تطبيقه، فالأصل هو المبدأ، والتطبيق يختلف من عصر إلى عصر، ومن أمة إلى أمة.

لذا يرى الباحث أن سورة الشورى تمثل أساليب تعليم التفكير وتنميته بحيث تؤدي قراءتها بتأمل واستيعاب إلى إقرار مباديء الإيمان والعقيدة الإسلامية. بالإضافة إلى استيعاب وفهم بعض المفاهيم التشريعية بحسب الواقع والزمن والبيئة الاجتماعية التي تطبق فيه مثل هذه المفاهيم.

ثامناً: بعض أساليب التفكير في سورة الشورى:

تقدم سورة الشورى مجموعة من أساليب التفكير، تبدأ بأسلوب إثارة المشكلة بطريقة تقديم الموقف المحير، ثم تقوم بتقديم بدائل متعددة للوصول إلى حل المشكلة أو الصعوبة وذلك من خلال أنواع التفكير التحليلي والمنطقي وغيره من أنواع التفكير الأخرى للوصول إلى النتيجة أو الغاية أو حل المشكلة.

وهذه أهم أساليب التفكير التي عرضتها السورة.

أ – أسلوب إثارة المشكلة بطريقة تقديم الموقف المحير أو المشكل

تبدأ هذه السورة بهذا الموقف المحير كما بدأت به كثير من سور القرآن

الكريم كقوله تعالى "(آلم، طه، كهيعص، المر...)" وهذه السورة تبدأ بهذا الموقف المحير المشكل بقوله تعالى "**حم (١) عسق (٢)**" وتقرأ هاتان الآيتان كما يلي:

"حاميم عين سين قاف" حيث يخيل للسامع أنه يسمع أحرفاً عربية فقط لا يدري لها معنى، وهنا يبدأ الموقف المحير، ما معنى هاتان الآيتان؟

- هل الآيتان مجرد أحرف عربية تبين أن هذا القرآن المعجز مكون من أحرف عربية فحسب، وبالتالي تنبيه للقارىء والسامع على إعجاز القرآن الكريم؟
- أم أن معناهما علم مستور ومحجوب استأثر الله تبارك وتعالى به؟

"وقد ردّ الفخر الرازي هذا الرأي بمجموعة من الأدلة كان أهمها الاحتجاج بالمعقول فقال: "أما المعقول فمن وجوه.

- أحدها: انه لو ورد شيء لا سبيل إلى العلم به لكانت المخاطبة به تجري مجرى مخاطبة العربي باللغة الزنجية، ولما لم يجز ذاك فكذا هذا.
- وثانيها: أن المقصود من الكلام الإفهام، فلو لم يكن مفهوما لكانت المخاطبة به عبثاً وسفهاً، وأنه لا يليق بالحكيم..." (الرازي، جـ٢: ٤)
- هل حم * عسق.. اسم دال على السورة كمثل قولنا سورة الشورى؟
- لماذا فسر محمد بن كعب – أحد مفسري القرآن الكريم – هاتين الآيتين بقوله تعالى "أقسم الله بحلمه ومجده وعلوّه وسناه وقدرته ألا يعذب من عاذ بلا إله إلا الله مخلصاً من قلبه" (القرطبي، جـ٦، ١٩٨٧: ٢).
- ما السبب الذي من أجله اختصت هذه السورة بإضافة الأحرف "عسق" إلى الحرفين (حم)؟
- لماذا فصل القرآن الكريم بين "حم" و "عسق " ما السبب في ذلك؟ (الرازي، جـ٢٧: ١٤١)

"قال عبد المؤمن: سألت الحسين بن الفضل: لم قطع (حم) من (عسق)... فقال لأن (حم * عسق) بين سور أولها " حم. فجرت مجرى نظائرها قبلها وبعدها، فكأن "حم" مبتدأ، و"عسق" خبره، ولأنها عدت آيتين....." (القرطبي، جـ١٦، ١٩٨٧: ١)

- جميع هذه التساؤلات التي مرّت أوجدتها الآيتان "حم" (١) عسق (٢) فأثارتا موقفاً مشكلا، لا يمكن حله مبدئياً، ولأن القرآن كتاب من عند الله، والله يعلم أن الإنسان لا يستطيع بعقله المحدود المادي الموصول بعالم الشهادة أن يصل إلى عالم الغيب البعيد عن الماديات، فأعطى القرآن النتيجة بشكل مباشر في الآيات اللاحقة، والتي تبدأ بقوله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾ (الشورى -٣).

فحل مشكلة العقيدة أولاً وأخيراً لا يكون إلا عن طريق القرآن الكريم، وهو الوحي الذي أنزله الله تعالى. والوحي لم يكن خاصاً برسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، بل نزل على النبوات السابقة، منذ آدم ثم موسى وعيسى حتى محمد عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام.

ب - اختيار أفضل البدائل للوصول إلى حل المشكلة أو الصعوبة:

بعد أن عرضت السورة الموقف المحيّر والمشكل في أول آيتين منها " حم * عسق " بادرت إلى حل المشكلة مباشرة بقوله تعالى:

﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾﴾.

لقد أوضحت الآيات السابقة (٣-٦) أنماطاً من التفكير تضمنت:

- التفكير المنطقي: الوحي الذي أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم مثله مثل الوحي الذي أنزل على النبوات السابقة، لأن مصدر الوحي واحد، وهو الله تعالى، والموحى إليهم هم رسل الله تعالى.
- من مكونات التفكير المنطقي: تنظيم الخبرات الذهنية، وحصرها في طريق خاص، للوصول إلى النتيجة النهائية، وهي حل المشكلة الإيمانية، وهكذا أوصلتنا الآية الثالثة في نهايتها إلى الإيمان بالله العزيز الحكيم الذي له ما في السموات وما في الأرض، العلي العظيم.

- يطرأ سؤال – هنا – كاستجابة للمثير، تكاد السموات يتفطرن....." هو: لماذا تتفطر السموات والأرض ؟ كيف تتفطر السموات والأرض؟

"يتفطرن: أي يتشققن من عظمة الله وجلاله فوقهن.... تكاد كل واحدة تتفطر فوق التي تليها، من قول المشركين اتخذ الله ولدا" (القرطبي، جـ١٦، ١٩٨٧: ٤).

ولذا جاءت الآية السادسة تبين نتيجة الذين اتخذوا من دون الله أولياء "الله حفيظ عليهم" يحصي أعمالهم وسيحاسبهم عليها.

- كما يطرأ سؤال آخر – هنا – حول موضوع الملائكة، تجيب عليه الآية الخامسة، وهو:

ما وظائف الملائكة؟ الإجابة تحتاج إلى وحي؛ لأن القضية غيبية تختص بعالم الغيب، إنهم يسبحون بحمد ربهم، ويستغفرون لمن في الأرض، أي يطلبون لنا المغفرة من الله الغفور الرحيم.

- ثم توضح الآيات التالية اختيار أفضل البدائل للوصول إلى حل المشكلة كأحد مكونات التفكير المنطقي الاستدلالي.

قال الله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ٧ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ٨ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٩ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ١٠﴾.

- لقد أوضحت الآيات السابقة حل مشكلة الغيب عن طريق الوحي. ذلك أن هذا القرآن العربي ليس من عندك يا محمد، بل هو وحي. و السؤال المطروح هنا: لماذا هذا الوحي؟ ولماذا قرآنا عربيا ؟ لتنذر أهل مكة أولا، ثم جميع من حولها من أهل الأرض.

"لماذا قرآنا عربيا؟ أي أنزلنا عليك قرآنا عربيا بلسان قومك، كما أرسلنا كل رسول بلسان قومه" (القرطبي،ج ١٦،١٩٨٧: ٦).

ثم لماذا مكة "أم القرى" مكان الرسالة؟.....

- ثم سؤال آخر لماذا سميت مكة بأم القرى؟ هل لذلك علاقة بخطوط الطول لتكون هي معيار هذه الخطوط كما هو الحال في خط غرينتش حالياً مثلا، لتتحدد ساعات النهار والليل بالنسبة لساكني القطبين الشمالي والجنوبي في أيام صوم رمضان؟ أم سبب آخر... الخ.
- هناك أسئلة كثيرة كلها تحتاج إلى تفكر وتفكير تأملي -
- ثم تأتي نتيجة محددة سريعة تبين كيف يكون الناس يوم الجمع (يوم القيامة)؟
- فريق استعمل عقله وتفكر فيما قدم إليه من وحي، فوجه تفكيره لطاعة ربه فهو في الجنة.
- وفريق كان تفكيره سطحياً وذاتياً بنى على الأوهام والتقاليد السابقة فهو في السعير. من الذي يحكم على التفكير في قضية الوحي والغيب؟

ثم هل يتمكن الإنسان من اختيار مصيره بنفسه؟ ولماذا لم يجعل الله الناس أمة واحدة!!؟

الإجابة على هذه الأسئلة تقتضي أن يكون لدى الفرد تفكير منطقي يهدف لإيجاد حل جديد، حل غير معروف عند أهل الجاهلية أهل مكة، حل يأتي عن طريق الوحي!!

ولو شاء لجعلهم أمة واحدة، إنه الله الذي يدخل المؤمن في رحمته، أما الظالمون فليس لهم يوم القيامة من ولي ولا نصير.

- إن أصحاب التفكير السطحي الذاتي المتأثر باعتقادات الآباء والأجداد دون وعي وتفكر اتخذوا من دون الله أولياء أصناماً.

أما أصحاب التفكير الاستدلالي المنطقي فقد اتخذوا الله ولياً.

- لماذا اتخذ المؤمنون الله ولياً؟ "إنّه القادر على إحياء الموتى، وهو على كل شيء قدير" (ابن كثير، ١٩٧٢: ٥٦٥) لهذا استحق أن يكون هو المعبود حقا لا أحد غيره.

ما واجب المؤمن الذي اتخذ الله ولياً ؟ أن يجعله مصدر القيم، فالحكم والأمر لله عند اختلاف الناس "وهذا عام في جميع الأنبياء" (المرجع السابق ٥٦٦).

ج - التفكير التحليلي المنتظم المتسلسل الخطوات من خلال البحث في الخبرات السابقة المرتبطة بالموقف والذي يؤدي إلى حل المشكلة.

لقد أوردت الآيات الكريمة (١١-٤٨) من سورة الشورى مجموعة من الأساليب التي توصل إلى حل المشكلة الإيمانية، وذلك عن طريق عرض المفاهيم الإيمانية والتركيز عليها، ثم عرض مفاهيم عدم الإيمان (الكفر) والرد عليها، ثم حاولت الآيات حل المشكلة الإيمانية بتفكير تأملي وإجرائي معاً على النحو التالي:

١ - مفاهيم الإيمان والتركيز عليها:

القرآن وحي، وهو يعطي الإجابة وحل المشكلة من خلال التفكير التحليلي التأملي. قال تعالى يصف نفسه:

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۬ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾.

- بدأت الآيات بحل المشكلة الغيبية:

من مصدر الوحي ؟ من مصدر القيم؟

تقدم الآيات الكريمة مجموعة من الخطوات المنتظمة المتسلسلة والتي تؤدي كل خطوة منها إلى التعرف على خالقها، ثم تؤدي جميع الخطوات المتسلسلة نتيجة واحدة، وهي أن الله هو مصدر الوحي، وهو الخالق لكل ما يأتي عن طريق الإجابة عن الأسئلة التالية وغيرها:

- من فاطر السموات والأرض "أي خالقها"؟
- من خالق الزوجين من البشر؟
- من خالق الأنعام أزواجاً؟

"إنه هو الذي جعلكم - أنتم والأنعام - تتكاثرون وفق هذا المنهج وهذا الأسلوب، ثم تفرد هو دون خلقه جميعاً، فليس هنالك من شيء يماثله - سبحانه وتعالى" (قطب، تفسير سورة الشورى:٢٠).

لقد حلت الآيات السابقة المشكلة حينما ذكرت أنّ الخالق هو الله تعالى الذي له مقاليد السموات والأرض، باسط الرزق، العليم بكل شيء، مرسل النبوات بوحدانية الله تعالى.

هذا ما وصى الله به نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى، وهذا الدين هو ما شرعه الله لمحمد صلى الله عليه وسلم، وعليه فإن هذا الدين - دين جميع الأنبياء - دين واحد، وواجب الناس أن لا يتفرقوا فيه، بل عليهم جميعاً أن يؤمنوا بالله الواحد.

وعلى ضوء هذه النتيجة - هذا الحل - جاءت الآيات بمجموعة من الأوامر أوجزتها الآية الخامسة عشرة ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٥﴾ (سورة الشورى، آية ١٥) وهنا يأتي السؤال:

لماذا قال ابن كثير عن هذه الآية: إنها تحتوي على عشر حِكَم "لا نظير لها إلا آية الكرسي" (ابن كثير، تفسير سورة الشورى: ٥٦٧).

هل لأنها تدعو إلى الاستقامة؟ هل لأنها تدعو الفرد للثبات على الإيمان؟ هل لأنها تأمر بالعدل؟ هل لأن الآيات تدعو للمفاضلة بين أعمال المؤمنين وأعمال الكفار؟ هل لأنها تدعو للتسامح وعدم الخصومة بين بني البشر - لا حجة بيننا وبينكم؟

للإجابة على جميع الأسئلة السابقة وغيرها قال المفسر ابن كثير لا نظير لها إلا آية الكرسي التي حلت المشكلة الإيمانية الاعتقادية بالله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم.

٢ - مفاهيم عدم الإيمان (الكفر) والرد عليها:

إذا كانت الآيات السابقة (١١-١٥) قد جاءت بمجموعة من الأمثلة الإيمانية، فقد ردت الآيات التالية (١٦-٢٤) على أصحاب التفكير الذاتي الذين اتبعوا دين الآباء والأجداد دون استعمال لعقولهم، فقد دعتهم هذه الآيات إلى التفكير، سواء عن طريق التفكير المنطقي أو التحليلي أو حل المشكلات... الخ (انظر ص ١٤) فقال الله تعالى: (سورة الشورى، الآيات ١٦-٢٤):

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ﴿١٧﴾ يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِىُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِى حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِىَ بَيۡنَهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ

هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾﴾.

بدأت مجموعة الآيات بتقرير النتيجة حول هؤلاء الكفار الذين يحاجّون ويجادلون في خالق السماء والأرض دون تقديم تفكير منطقي أو دليل عقلي، فقالت الآيات عن تفكيرهم وعن مدى قوة حجتهم قالت: "حجتهم داحضة عند ربهم".

لماذا كانت حجتهم هزيلة وداحضة؟ ولماذا كان تفكيرهم سطحياً غيرتأملي ولا منطقي؟

تأتي الإجابة في الآية اللاحقة "الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان"

"هدف الرسالات، هدف الكتب المنزلة على أنبيائه، الميزان، وهو العدل والإنصاف" (الرفاعي، ١٩٧٢: ٥٦٨).

ثم يطرح السؤال التالي "كيف يمكن أن تتحقق العدالة في الأرض؟ ما الضمانة لتحقيق العدالة في الأرض؟"

والإجابة: "لعل الساعة قريب".

ثم يأتي سؤال آخر ما علاقة الميزان بالساعة ؟ أي ما علاقة العدل في الأرض بقيام الساعة ؟

يقول (قطب،١٩٦٧: ٢٧) "ينتقل من هذه الحقيقة، حقيقة الكتاب المنزل بالحق والعدل إلى ذكر الساعة، والمناسبة بين هذا وهذه حاضرة، فالساعة هي موعد الحكم العدل والقول الفصل، والساعة غيب، فمن ذا يدري إن كانت على وشك، "وما يدريك لعل الساعة قريب "والناس عنها غافلون، وهي منهم قريب،

وعندها يكون الحساب القائم على الحق والعدل الذي لا يهمل فيه شيء ولا يضيع".

ثم يأتي نوع من التفكير التأملي الناقد يدعو إلى التفريق بين إجابة المؤمن والكافر على السؤال التالي: ما موقف الناس من الساعة؟

الناس صنفان بشأن يوم الحساب:

أولهما: غير المؤمن الذي لا يصدق بيوم الحساب، لذا فهو يستعجل قدوم يوم الساعة. وهنا يأتي سؤال، لماذا يستعجل غير المؤمن قدوم الساعة ؟

وثانيهما: المؤمن المصدق بيوم الحساب، يوم العدل، يوم الميزان لذا فهو يخشى ذلك اليوم.

وهنا يأتي سؤال: لماذا يخشى المؤمنون يوم القيامة؟

هل لأنهم يعلمون أنها حق؟ هل لأنهم يوقنون أنهم محاسبون على أعمالهم؟

الإجابة على هذه الأسئلة تحتاج إلى تفكير تأملي، خصوصاً وأن الآية التالية تتحدث عن الرزق، عندها يطرح السؤال التالي: ما علاقة الرزق بالساعة؟

ولدى النظر والتفكر التأملي والمنطقي في هذه الآية والآية التي بعدها، يمكننا الإجابة على السؤال السابق، خصوصاً لدى قراءة الآية الكريمة ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾.

هل معنى الشطر الأول من هذه الآية أن الرزق مقسوم من عند الله للمؤمن وغير المؤمن؟ هل معنى هذه الآية أن الله تعالى قد أخرج الرزق من دائرة الصلاح والطلاح، من دائرة الإيمان والكفر ليعلقها بأسبابه الموصولة بأوضاع الحياة العامة، واستعدادات الأفراد الخاصة؟ وبالتالي فالله تعالى يعطي المؤمن والكافر، لكل حسب قدرته واستطاعته وجهده.

ثم تستمر الآيات بإيراد مفاهيم عدم الإيمان (الكفر) والتفكير الذاتي السطحي لغير المؤمن بالله تعالى.

وتأتي الآية الكريمة بسؤال استنكاري، يستنكر على الكفار اعتقادهم بالشريك مع الله تعالى الواحد، فقال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾؟

والجواب المتأمل الناتج عن التفكير المنطقي والتأملي (انظر ص ١٣) هو: ليس لأحد من البشر أن يشرع في الدين ما لم يشرعه الله، ذلك أن الله وحده هو الذي يشرع الدين لعباده.

وتستمر الآيات بإيراد مفاهيم عدم الإيمان (الكفر) والرد عليها بتفكير تحليلي منطقي(انظر ص ١٣)، فتبين الآية الكريمة (٢٢) منظر الظالمين الذين ظلموا أنفسهم عندما لم يفكروا تفكيراً منطقياً تحليليا استدلالياً مثل المؤمنين، فكان عاقبتهم العذاب الأليم، في مقابل المؤمنين الذين استعملوا عقولهم فيما خلقت له من التأمل والتدبر، فكان عاقبتهم الجنة.

ثم تعمد الآيات إلى مجادلة الكفار – بأسلوبهم الذي ينّم عن تفكير سطحي –، فالكفار يعتمدون الولاء للأقارب أكثر من الإيمان بالله تعالى، لذا تذكرهم الآيات بأن محمداً صلى الله عليه وسلم واحد من أهلكم، من قرابتكم، وواجب المشركين من أهل مكة أن يوادوا النبي صلى الله عليه وسلم من أجل القربة بينهم وبينه "عن ابن عباس رضي الله عنه أنه سئل عن قوله (إلا المودة في القربى) فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد. فقال ابن عباس: عجلتَ، إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة، فقال: إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة" (البخاري، حـ٨، رقم ٤٨١٨: ٥٦٤) فيكون معنى الآية: إلا أن تكفوا أذاكم عن محمد صلى الله عليه وسلم للقرابة معه، ويكون هذا هو الأجر الذي أطلبه منكم لا سواه.

وتنتهي مجموعة الآيات الكريمة بإيراد مفهوم عدم الإيمان عن طريق

عرض القرآن الكريم له بأسلوب الاستفهام الاستنكاري، يقول الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾؟

لأن غير المؤمن تفكيره سطحي، ذاتي، غير متأمل، لذا سألوا السؤال السابق، فوضعه الله تعالى بصيغة السؤال الاستنكاري، فالله تعالى يستنكر على المشركين طرح هذا السؤال الذاتي السطحي، وتأتي الإجابة - النتيجة - مباشرة على هذا التفكير:

فإن يشأ الله يختم على قلبك، أي يطبع على قلبك، ويسلبك ما كان آتاك من القرآن، وعليه فالعقوبة للذي يفتري الكذب على الله هو سلب العلم، العلم المرتبط بالتفكير الاستدلالي المنطقي "قال قتادة: يطبع على قلبك فينسيك القرآن" (القرطبي، جـ١٦، ١٩٨٧: ٢٥).

والنتيجة الأخرى: هي أن الله تعالى يحق الحق بكلماته، ولكن كيف يتحقق الحق؟ قطعاً بالحجج والبراهين والأدلة المنطقية والتفكير الإبداعي الحرّ المنطلق.

ولذا جاءت الآيات الكريمة التالية تبين وحدانية الله تعالى بالحجج والمنطق والتفكير الاستدلالي والإبداعي.

٣ - حل المشكلة الإيمانية تأملياً بعرض أنواع مختلفة من التفكير الاستدلالي المؤدي للإيمان:

بعد أن عرضت الآيات السابقة لمجموعة من مفاهيم الإيمان والتركيز عليها (الآيات ١١-١٥) ثم مجموعة من مفاهيم عدم الإيمان (الكفر) وفنّدتها بالحجج والبراهين (الآيات ١٦-٢٤) جاءت الآيات الكريمة التالية تعلن وحدانية الله تعالى من خلال آيات كريمة تدعو إلى التفكير الحر التأملي الإبداعي الذي لا تقف أمامه حواجز التفكير السطحي المعتمد على مقولة الأباء والأجداد، فقال تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى

ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾﴾.

هذه الآيات الكريمة حلت مشكلة عقيدة الإيمان بالله تعالى عن طريق التفكر بما في هذا الكون من مشكلات وحوادث جميعها تؤدي إلى الإيمان بالله تعالى.

وذلك من خلال تفكير منطقي يربط النتائج بالأسباب، من خلال إدراك العلاقات بين الأشياء، وتعتمد الآيات الكريمة في هذا التفكير الاستدلالي على عمليتي التفكير: الاستقرائية والاستنباطية (انظر ص ١٣).

أ – ففي العملية الاستقرائية قامت الآيات الكريمة بعرض مفاهيم:

الرزق وبسطه، وتأثيرات الرفاه المادي اللامتناهي على مفاهيم البغي والظلم الذي يحيق بالطبقات الفقيرة، نتيجة لتكدس الأموال عند البعض.

كما عرضت الآيات لقضية سبب بسط الرزق والرفاه الذي تعتمد على مقدار نزول المطر من ناحية، وعلى توزيع هذه الرحمة- نزول المطر- على عباد الله تعالى في الأرض.

كما عرضت الآيات لقضية خلق الكون بما فيه من سماء وأرض ودابّة، ويشتمل مفهوم الدابة على كل ذي روح "قال مجاهد: يدخل في هذا الملائكة والناس، وقد قال تعالى: (ويخلق مالا تعلمون.... " (القرطبي، ١٩٨٧، جـ ١٦: ٢٩).

ب – وفي العملية الاستنباطية التي تستخدم القواعد والأساليب القياسية لإثبات النتيجة أو الحقيقة فيمكن استخلاصها من الآيات الكريمة السابقة على النحو التالي:

إنه الله تعالى وحده صاحب الخلق والأمر، فهو الذي يقبل التوبة، ويعفو عن السيئات برحمته تعالى.

- وهو – الله وحده - الذي يعلم ما يفعل الإنسان في سره وعلانيته !
- وهو – الله وحده - الذي يرزق عباده ويبسط لهم الرزق !
- وهو – الله وحده - خالق السموات والأرض والدواب الموجودة في السماء والأرض!
- وهو – الله وحده - جامع خلقه يوم القيامة !
- وهو – الله وحده- مدبر السنن التي بوساطتها تجري البواخر العظيمة في البحر فلا تغرق !

والنتيجة واحدة لكل من عمليتي التفكير الاستقرائية والاستنتاجية، وهي أن الله تعالى هو الخالق، وهو المحاسب للإنسان، وهو جامع الناس يوم القيامة مع علمه بأولئك الكفار ذوي التفكير الذاتي السطحي، حيث يجادلون في الله مع أن الآيات أمامهم، وكل آية من هذه الآيات تشهد بقدرة الله تعالى الخالق وحده.

أنواع أخرى من التفكير في العملية الاستنباطية:

وبالإضافة إلى أنواع التفكير الاستدلالي – سواء منه الاستقرائي أو الاستنباطي – فقد ألمحت الآيات الكريمة السابقة إلى أنواع أخرى عديدة من التفكير:

- ففي الآية ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ...﴾ تعرض الآية لمكون من مكونات التفكير المنطقي، وهو: اختبار الآراء، وتحليلها والمقارنة بينها، ومقابلتها مع بعضها بعض.
- وفي الآية الكريمة ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟...﴾ **تفكير حدسي**، يهدف إلى الوصول إلى استنتاجات، مع عدم علم المسلمين السابقين - الذين نزل القرآن عليهم - بكيفية نزول المطر.

وإذا كانت الآية الكريمة توضح التفكير الحدسي بالنسبة للسابقين فهي تدعو إلى **تفكير منطقي** تأملي بالنسبة لنا في هذا القرن.

- وفي الآية الكريمة ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾

تلمح الآية الكريمة إلى الاتجاه السلوكي في التفكير، والذي يعتمد على الربط بين المثير والاستجابة، فسبب المصائب التي تقع على الإنسان في الحياة الدنيا هي ما كسبت يداه من الإثم والخطأ، ومع ذلك فإن الله يعفو عن كثير، وعفو الله تعالى معزز للإنسان، كي لا يتمادى في الخطأ والإثم والظلم في حياته الدنيوية، ففي الأثر: "روى ابن أبي حاتم عن علي – رضي الله عنه – قال: ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله عز وجل، وحدّثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: (ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير).

وسأفسرها لك يا علي: ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم، والله تعالى أحلم من أن يثنّي عليه العقوبة في الآخرة، وما عفا الله عنه في الدنيا فالله تعالى أكرم من أن يعود بعد عفوه" (ابن كثير، تفسير سورة الشورى: ٥٧٤).

- وفي الآية الكريمة ﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾﴾

تلخيص لنتيجة الآيات الكريمة السابقة (٢٦-٣٥)، ذلك أن الله تعالى العليم بكل شيء، ومن ذلك علمه "بالكفار إذا توسطوا البحر وغشيتهم الرياح من كل مكان، أو بقيت السفن رواكد، علموا أنه لا ملجأ لهم سوى الله، ولا دافع لهم إن أراد الله إهلاكهم، فيخلصون له العبادة" (القرطبي، جـ١٦، ١٩٨٧: ٣٣).

وفي هذه الآية كما في كثير غيرها قضايا لغوية تنمي التفكير، لا أريد الخوض فيها، فهي تحتاج إلى دراسات لغوية مستقلة، ومثال على ذلك الحركة على الكلمة: "**ويعلم**" بالنصب، لماذا يمكن قراءتها بالفتح، وماذا يكون المعنى في هذه الحالة، ولماذا يمكن قراءتها بالرفع؟ وماذا يكون المعنى في هذه الحالة ؟ ولماذا يمكن قراءتها بالجزم ؟ وماذا يكون المعنى في هذه الحالة ؟

٤ – حل المشكلة الإيمانية إجرائيا

وإذا كانت الآيات السابقة قد حلّت المشكلة الإيمانية عن طريق التفكير المنطقي بشقيه الاستنباطي والاستدلالي (انظر ما سبق ذكره من أنواع التفكير)، فالآيات الكريمة التالية توضح صفات المؤمنين الذين استعملوا عقولهم وتفكيرهم عملياً للوصول إلى النتائج والأحكام. قال الله تعالى في الآيات التالية:

﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾.

ربطت هذه الآيات الكريمة بين الاتجاه المعرفي وبين الاتجاه السلوكي الإجرائي العملي في التفكير، ووصلت إلى المستويات العليا من التفكير، بهدف

حل المشكلة الإيمانية، فأعادت صياغة المشكلة الإيمانية بإيجاد حل جديد مبتكر، بل على الأرجح حاول العقل المفكر الرضا بالحل الايماني، وبدأ بتفسير حل المشكلة عملياً وإجرائيا، وذلك بعرض نماذج من صفات المؤمنين الذين وصلوا إلى الحل الإيماني الجديد المبتكر - لا على طريقة الآباء والأجداد كما كان عليه كفار مكة - ولكن على طريقة الوحي الإيماني الذي حل المشكلة بإيراد مجموعة من الصفات والمباديء التي توضح نظرة المسلم العامة لما في الكون والحياة، كما توضح الصفات التي يتحلّى بها، والأمثلة التي تعرضها الآيات الكريمة متعددة كما يلي:

- النظرة الإيمانية للحياة: إنها ليست أكثر من متاع "متاع في أيام قليلة تنقضي وتذهب، فلا ينبغي أن يتفاخر بها، والخطاب هنا للمشركين" (القرطبي، جـ١، ١٩٨٧: ٣٥).

ومن أجل التركيز على تنمية التفكير تأتي فكرة المقابلة بين نظرة المشركين السابقة للحياة، النظرة السطحية، وبين نظرة المؤمن للحياة، فأيهما أفضل؟

- نظرة المؤمن لحياة تنطلق من تفكير موجه غير ذاتي، يؤمن بأن الحياة الآخرة هي الحياة الأفضل، والحياة الباقية، ولذا فهو مؤمن بالله، متوكل عليه، يهتدي بهديه، ولكن كيف يهتدي المؤمن بهدي الله ؟ أو بمعنى آخر ما صفات المؤمن؟
- يتوكل على الله، يجتنب كبائر الإثم والفواحش، يغفر للآخرين أخطاءهم، يستجيب لأوامر ربه، يعبد الله تعالى وحده. هذه بعض الصفات الفردية للمؤمن، فما صفات جماعة المؤمنين؟ جاءت الإجابة بشكل إجرائي (وأمرهم شورى بينهم) فالشورى هي طابع أساسي للحياة الإسلامية.

ويمكن للآيات السابقة أن تفرز قدراً كبيراً من الأسئلة ذات العلاقة، من مثل:

ما الفرق بين مصطلحي الكبيرة والفاحشة؟ ما معنى مصطلح الشورى؟ متى تكون الشورى؟ ما أساليب الشورى؟ من أشاور؟ كيف تكون الشورى؟ من هم أهل الشورى؟ ما معنى مصطلح البغي؟ متى ينتصر المظلوم من الظالم؟

كيف يكون الانتصار من الظالم؟ وأسئلة أخرى كثيرة يمكن عند النظر في كتب العلماء والمفسرين أن تفسر جزءاً من هذه الاسئلة، وتبقى بقية الأسئلة مفتوحة للأيام القادمة عند أهل العلم من مختلف الاختصاصات الذين يفهمون كتاب الله ومقاصد الدين وفقه الواقع إلى جانب فقه النص. حيث تستجيب أفهامهم لمتغيرات الزمان والمكان، ويبقى النص مطلقاً، يمكن أن يولد إجابات جديدة، فالحياة لم تنته، وما زلنا نعيش وستعيش الأجيال اللاحقة، وستفكر بآيات الله، وستجد حلولا جديدة أخرى-حلولاً إبداعية- على ضوء آيات القرآن الكريم المطلقة.

- ثم تعود الآيات لتحديد نظرة المؤمن لما يجري في الحياة من أشكال وأنماط تفكيرية وعملية تتصل بأهمية الإنفاق والتكافل بين فئات المجتمع المسلم الغنية والفقيرة.
- كما تحدد الآيات قساوة الظلم، وعدم حب الله الظالمين، وأن من صفات المؤمن العفو عن الآخرين، والإصلاح بينهم، والصبر والمغفرة للآخرين.
- وفي مقابل صفات المؤمنين صفات الظالمين، فهم ظالمون لأنفسهم، لأنهم لم يؤمنوا بالله تعالى، وهم ظالمون لأنفسهم وللآخرين، يبغون في الأرض بغير الحق، لذا يعرض الله تعالى صورة عذابهم يوم القيامة، وهم قد خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، ووُضعوا في العذاب الدائم، يسارقون النظرة من شدة خوفهم.
- وهنا نعود إلى الاتجاه السلوكي في التفكير والربط بين العمل السيىء في الحياة الدنيا والعذاب "العقوبة" الدائمة في الحياة الآخرة. لذا تطلب الآيات من هؤلاء الظالمين لأنفسهم وغيرهم العودة إلى الله من قبل أن يأتي يوم الآخرة، يوم لا مرّد له من الله، وليس لهم من ملجأ منه إلا هو سبحانه.
- ثم تأتي نتيجة الآيات السابقة موجهة للمؤمنين "فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا" فإن أعرضوا عن الإيمان فما أرسلناك عليهم حفيظا، أي حافظاً لأعمالهم، حتى تحاسبهم عليها... وليس لك إكراههم على الإيمان" (القرطبي، جـ١٦،١٩٨٧: ٤٧).

- وهنا تأتي طلاقة التفكير وأصالته، فالإيمان لا يمكن لأحد أن يكره أحداً عليه، والمطلوب من النبي تبليغ رسالة الله إلى الناس، لا إكراههم على الإيمان، لذا فما على الرسول صلى الله عليه وسلم، وعلى كل داعية يسير على طريقه إلا تبليغ دعوة الله تعالى، بغض النظر عن مدى استجابة الآخرين له "إن عليك إلا البلاغ".

د – الوصول إلى النتائج والقوانين والقواعد العامة المؤدية لحل المشكلة الإيمانية:

سبق للآيات الكريمة (١١-٤٨) أن عرضت أنماطاً من التفكير المؤدي إلى حل المشكلة الإيمانية المتعلقة بالوحي، بأن عرضت مجموعة من مفاهيم الإيمان وعدم الإيمان (الكفر) والبحث عن حل المشكلة عن طريق أنواع التفكير الاستدلالي، سواء منه الاستقرائي أو الاستنباطي، ثم حاولت نهاية الآيات السابقة حل المشكلة الإيمانية إجرائيا وعملياً عن طريق عرض نموذجي الإيمان والكفر و عاقبة كل نموذج.

أما ما تبقى من آيات سورة الشورى فقد أعلنت الوصول إلى النتيجة الإيمانية الحاسمة، وهي أن الله تعالى وحده – بصفاته المحددة – هو مصدر الوحي قال تعالى:

﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾.

فالآيتان الأوليتان من مجموعة هذه الآيات "لله ملك السموات والأرض...

إنه عليم قدير" توضح النتيجة النهائية لهذه السورة ولكل آيات القرآن – وكلها وحي من عند الله تعالى - وهي أن الله تعالى وحده هو:

- مالك السموات والأرض، خالق كل شيء، والإنسان من ضمن خلق الله تعالى.
- يجري الله تعالى خلقه وفق نواميس ونظم وسنن خاصة بكل نموذج من نماذج خلقه سبحانه، فهو خالق الإنسان وفق منظومة الذكر والأنثى، ولكن لماذا بدأت الآيات بالأنثى قبل الذكر؟ (يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور)

قال واثلة بن الأسقع: "إن من يمن المرأة تبكيرها بالأنثى قبل الذكر، فبدأت الآية بالإناث" (القرطبي، جـ١٦، ١٩٨٧: ٤٨).

ثم ما معنى أو يزوجهم ذكراناً وإناثا ويجعل من يشاء عقيماً؟ يقول ابن كثير: "يعطي لمن يشاء من الناس الزوجين: الذكر، والأنثى... والعقيم الذي لا يولد له ولد، كيحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام" (ابن كثير: ٥٧٩).

واستنتاجاً لمعاني هاتين الآيتين يقول ابن العربي في قضية خلق الإنسان ما يلي: "فخلق – الله – آدم من الأرض، وخلق حواء من آدم، وخلق النشأة من بينهما، مرتباً على الوطء، كائناً عن الحمل، موجوداً في الجنين بالوضع... ثم عرض ابن العربي لقضية الشبه في الذكورة والأنوثة بالأعمام والأخوال... ثم عرض لقضية الخنثى وميراثها...." (القرطبي، جـ١٦،١٩٨٧: ٥٠-٥٢).

كل ذلك استنتاجاً من معاني الآية السابقة، وكل هذه الاستنتاجات وغيرها مرتبطة بنتيجة واحدة، وهي أن الله مالك السموات والأرض وهو الخالق.

- وحتى ترتبط المشكلة الإيمانية بالله بشكل مباشر جاءت الآية الكريمة ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾، لتبين أن صلة الله تعالى بالإنسان ليست صلة مباشرة، وإنما تكون بوساطة الوحي.

وهنا لا بد من العودة إلى صدر السورة، فالآية الثالثة أعلنت أن الله تعالى هو مصدر الوحي، كما أعلنت هذه الآية بيان أنواع الوحي، فارتبطت بداية السورة بنهايتها، على اعتبار أن حل المشكلة الإيمانية – بداية ونهاية – لا تكون إلا عن طريق الوحي.

ولكن كيف يأتي الوحي للنبي ليحل المشكلة الإيمانية - سواء أكان النبي هو موسى أم عيسى أم محمد أم غيرهم من الأنبياء صلوات الله عليهم؟

"وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً" فالله تعالى لا يكلم الإنسان مشافهة وعيانا، بل يكلمه وحياً، "فيكون إلهاماً، ومنه: قوله صلى الله عليه وسلم: "إن روح القدس نفث في روعي - الروع (بالضم) القلب والعقل. والروع (بالفتح) الفزع - أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حلّ، ودعوا ما حَرُم" (القرطبي، جـ ١٦، ١٩٨٧: ٥٣).

- كما يمكن أن تكون كيفية الوحي "أو من وراء حجاب" أي كما كلم الله موسى عليه السلام.
- ويمكن أن تكون كيفية الوحي "أو يرسل رسولاً" كإرساله جبريل عليه السلام لمحمد صلى الله عليه وسلم.
- بهذه الطرق الثلاثة تكون كيفية الوحي، عندها يوحي الله تعالى لأنبيائه ما يشاء "قال ابن عباس – رضي الله عنهما –: نزل جبريل عليه السلام على كل نبي، فلم يره منهم إلا محمد وعيسى وموسى وزكريا عليهم السلام، فأما غيرهم فكان وحياً إلهاما في المنام" (القرطبي، جـ١٦، ١٩٨٧: ٥٣).
- ثم تأتي الآية الكريمة ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ لتبين بشكل مباشر وقاطع، أن حل المشكلة الإيمانية عن طريق الوحي ليست حكراً عليك يا محمد، بل هو وحي لك، كما أوحينا لمن قبلك.

ولكن ماذا أوحى الله تعالى إلى محمد صلى الله عليه وسلم ليحل المشكلة الإيمانية؟

روحاً من أمرنا!! فما معنى "روحاً من أمرنا"؟ (القرطبي، جـ١٦، ١٩٨٧: ٥٥).
هل معنى روحاً أي نبوة؟ - كما قال ابن عباس:
هل معنى روحاً أي رحمة من عندنا.؟ قاله الحسن وقتادة
هل معنى روحاً أي وحياً؟ - قاله السُدّي
هل معنى روحاً أي كتاباً؟ - قاله الكلبي
هل معنى روحاً هو جبريل؟ - قاله الربيع
هل معنى روحاً هو القرآن ؟ - قاله الضحاك
لماذا سمي الله الوحي "روحاً"؟ هل سماه روحاً لأن فيه حياة من موت الجهل؟
جميع هذه الأسئلة لا بد لها من فكر متأمل ليعي ويفهم معنى مصطلح الروح الذي استعملته الآيات في سياق "وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا".

- ولإثبات أن معرفة الله تعالى لن تكون إلا بوساطة الوحي كمصدر أساس لمعرفة الغيب، منَّ الله تعالى على نبيه بهذه المعرفة للقضايا الإيمانية المتعددة، كقضية الكتاب والقرآن والإيمان، فقال سبحانه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم "ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي إلى صراط مستقيم".

- ثم تقرر الآية أن الوحي نور، وأن الرسول يهدي إلى صراط مستقيم، فما الصراط المستقيم؟ إنه صراط الله، وما معنى صراط الله؟ هل هو القرآن كما قال علي؟ أم هو الإسلام" (القرطبي، جـ١٦، ١٩٨٧: ٦٠).
مهما تعددت الآراء في معنى صراط الله ! فإنه يكفينا أن نعلم أن هذا الوحي هو صراط، وصراط مستقيم، بل صراط الله وطريقه ودينه، الله الذي له ما في السماوات والأرض.

- فالنتيجة النهائية لحل المشكلة الإيمانية كما جاء بها الوحي هي:
أن الله تعالى له صراط مستقيم، دين قويم يحل المشكلة الإيمانية، وما على الفرد إلا الاعتقاد بأن الله تعالى هو خالق الكون ومصدر القيم، خلق الكون والإنسان، وستصير إليه أمور الكون والإنسان "ألا إلى الله تصير الأمور".

تاسعاً: نتائج البحث وتوصياته:

سورة الشورى إحدى النماذج المتعددة في القرآن الكريم التي حلت المشكلة الإيمانية عن طريق لفت الانتباه إلى جميع أنماط التفكير وأنواعه، سواء ما يسمى بالتفكير المنطقي – وما يستتبعه من تفكير استدلالي، بشقيه الاستقرائي أو الاستنباطي – أو تفكير تحليلي منتظم متسلسل الخطوات، يبدأ بإثارة مشكلة ثم يقدم الملاحظات المتعددة من أجل فهم المشكلة وتحليلها، ثم وضع الفرضيات المتعددة، ثم التحقق من الفرضية والبرهنة عليها، ثم الوصول إلى النتائج والقوانين والقواعد العامة.

قدمت سورة الشورى نموذجاً تفكيرياً يمكن تلخيصه كما يلي:

أ – إثارة المشكلة الإيمانية بطريقة تقديم الموقف المحير أو المشكل "حم عسق " الآيتان الأولى والثانية من السورة.

ب – البحث في البدائل واختيار أفضلها للوصول إلى حل المشكلة الإيمانية،الآيات (٣-١٠).

ج – التفكير التحليلي المؤدي إلى حل المشكلة الإيمانية عن طريق الوسائل التالية:

١ – عرض المفاهيم الإيمانية الايجابية وتدعيمها، الآيات (١١-١٥).

٢ – عرض المفاهيم السلبية ومناقشتها والرد عليها، (الآيات ١٦-٢٤).

٣ – حل المشكلة الإيمانية تأملياً بمنهجية التفكير الاستدلالي بشقيه الاستقرائي والاستنباطي (الآيات ٢٥-٣٥).

٤ – حل المشكلة الإيمانية بمنهجية التفكير العملي الإجرائي، (الآيات ٣٦-٤٨).

د – الوصول إلى النتائج والقوانين والقواعد العامة المؤدية لحل المشكلة الإيمانية (الآيات ٤٩-٥٣).

– لوحظ أن هناك أنواعاً أخرى من التفكير جاءت في ثنايا آيات سورة الشورى: كالتفكير الناقد، والاستبصاري، والابتكاري، والمنطقي، والإبداعي

والارتباطي الحر، والتفكر العميق، والمستنير. (انظر ما سبق).
كما لوحظ أن الآيات الكريمة تنعى على الكفار استعمال التفكير السطحي غير المتأمل، والذي يعتمد على آراء الأجيال السابقة.

- يمكن تعميم أنواع التفكير التي استعملتها سورة الشورى في حل المشكلة الإيمانية على جميع المشكلات التي يصادفها العقل البشري، سواء المشكلات الدينية أم العقلية، وسواء المشكلات المتعلقة بالتفكير وتنميته، أو المشكلات الإجرائية العملية التي تصادف الإنسان في حياته.
- يمكن النظر إلى سورة الشورى على أنها أحد النماذج القرآنية المتعددة التي حلت المشكلة الإيمانية: نظرياً باستعمال التفكير التأملي الناقد، وعملياً بعرض نموذج المسلم الذي قاده فكره التأملي إلى الإيمان بالله تعالى، فتخلق بالأخلاق الإيمانية التي دعا اليها الوحي.
- حلت سورة الشورى - أحد النماذج القرآنية المتعددة التي حلت المشكلة الإيمانية - مشكلة من هو الله سبحانه وتعالى؟ إنه مصدر الوحي، وباعث الرسل للناس بالإيمان، خالق السموات والأرض، صاحب الصراط المستقيم، الذي له ما في السموات والأرض، واليه تصير الأمور.
- يمكن النظر إلى كل مجموعة من الآيات الكريمة من آيات السورة بمنظار النموذج الكلي الذي قدمته السورة بشكل عام، فكل مجموعة من الآيات، بل كل آية أحياناً – تعطي نموذج التفكير التأملي أو التفكير المنطقي والخروج بالنتيجة الإيمانية كحل للمشكلة، كما حلته آيات السورة مجتمعة.
- يمكن دراسة القرآن الكريم من زوايا مختلفة "ولكنها جميعاً يمكن ان تنتهي إلى قطبين أساسيين: اللغة، والفكر" (دراز، ١٩٨٠: ١٥) وعن طريق اللغة يمكن فهم القرآن، وعن طريق التأمل في الفكر القرآني يمكن حل المشكلة الإيمانية.
- -الرجوع إلى أهل العلم في الإجابة على جميع الأسئلة التفصيلية الواردة في البحث، ذلك أن هدف البحث ليس تفسير الآية، ولكن استخراج أنواع التفكير الموجود فيها.

وبناء على النتائج السابقة يتقدم الباحث بالتوصيات التالية:

١ – التركيز على الدراسات التأصيلية للتربية في البلاد العربية والإسلامية، لمعرفة مدى ما في الوحي بشقيه - الكتاب والسنة الصحيحة - من أفكار منهجية لتأصيل مفاهيم التربية في بلادنا، وفتح المجال أمام الباحثين، لدراسة سور القرآن الكريم المتعددة بهدف:

أ – استخراج المواقف المحيرة والمشكلة التي استعلمها القرآن الكريم في سوره المتعددة، لإثارة المشكلة الإيمانية، تمهيداً لوضع الحلول لها.

ب – دراسة البدائل والأفكار التي تعرضها سور القرآن الكريم المتعددة محاولة حل المشكلة الإيمانية.

جـ – استنباط وسائل القرآن الكريم في سوره المتعددة التي حاولت حل المشكلة الإيمانية، وذلك عن طريق عرض المفاهيم الايجابية وتدعيمها، أو عرض المفاهيم السلبية والرد عليها، أو عن طريق عرض أنواع التفكير التأملي والإجرائي، وحشد كل ذلك لحل المشكلة الإيمانية.

د – كشف القوانين والقواعد العامة التي توصلت إليها سورة الشورى في محاولة حل المشكلة الإيمانية.

٢ – إعادة البحث في مفاهيم تنمية التفكير، والتفكير الاستدلالي والتأملي والإبداعي والحدسي... ووضعها في نماذج ومصطلحات مفهومه وقابله للتطبيق، يمكن استعمالها عملياً وإجرائيا كما استعملها القرآن الكريم.

٣ – الاستفادة من علوم الآخرين ومعارفهم الحياتية، وما تمخضت عنه دراساتهم المتنوعة، والاستفادة منها في التربية في بلادنا العربية والإسلامية، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها التقطها.

المراجع

١ – ابن خلدون (١٩٨٨) **المقدمة**، ط٢، بيروت، دار الفكر.

٢ – ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن كثير (د.ت)، **تفسير القرآن العظيم**، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية.

٣ – أبو حطب، فؤاد، (١٩٩٢) **القدرات العقلية**، ط٦، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.

٤ – أحمد، سعد مرسي و كوجك، كوثر حسين، (١٩٨٣) **تربية الطفل قبل المدرسة**، القاهرة، عالم الكتب.

٥ – أغروس، رو برت و ستانسيو، جورج، (١٩٨٩) **العلم في منظوره الجديد**، ترجمة كمال خلايلي، الكويت، عالم المعرفة، العدد ١٣٤

٦ – البخاري (د. ت) **فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني**، جـ ٦، ٨، ٩ القاهرة، المطبعة السلفية.

٧ – بدري، مالك، (١٩٩٢) **التفكير من المشاهدة إلى الشهود**، عمان، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

٨ – جرين، جودث، (١٩٩٠) **التفكير واللغة**، ترجمة عبد الرحمن عبد العزيز العبدان، الرياض، دار عالم الكتب.

٩ – الخلايلة، عبد الكريم واللبابيدي، عفاف، (١٩٩٠) **طرق تعليم التفكير للأطفال**، ط١، عمان دار الفكر.

١٠– دراز، محمد عبد الله، (١٩٨٠) **مدخل إلى القرآن الكريم**، الكويت، دار القلم

١١– دي بونو، إدوارد، (١٩٨٩) **تعليم التفكير**، ترجمة عادل عبد الكريم ياسين وآخرون، الكويت مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.

١٢– راجح، أحمد عزت، (١٩٧٧) **أصول علم النفس**، القاهرة، دار المعارف.

١٣- الرازي، الإمام فخر الدين (د.ت)، **التفسير الكبير**، المجلد الأول جـ٢، جـ٢٧، ط٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

١٤- الرفاعي، محمد نسيب (١٩٧٢)، **تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير**، ط١، بيروت، د.ن.

١٥- الزين، سميح عاطف، (١٩٩١) **علم النفس، معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة**، المجلد الأول، بيروت،دار الكتاب اللبناني.

١٦- السيد، فؤاد البهي، (١٩٧٩) **علم النفس الإحصائي وقياس العقل البشري**، القاهرة، دار الفكر العربي.

١٧- شانر، وليم، (١٩٦١) **الطريق إلى التفكير المنطقي**، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.

١٨- الصابوني، محمد علي،د.ت، **صفوة التفاسير** (د.ت)، المجلد الثالث، بيروت، عالم الكتب.

١٩- عثمان، سيد احمد و أبو حطب، فؤاد عبد اللطيف، (١٩٧٨) **التفكير دراسات نفسية**، ط٢، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.

٢٠- علي، سعيد اسما عيل، (١٩٨٢) **دراسات في التربية الإسلامية**، القاهرة، عالم الكتب.

٢١- العمري، شوكت محمد، (١٩٩٤) **تنمية التفكير في تدريس علوم الشريعة**، عبد الرحمن صالح عبد الله (محرر)، تدريس علوم الشريعة، ط١، عمان، د.ن.

٢٢- القرطبي، أبو عبد الله بن أحمد الانصاري، (١٩٨٧) **الجامع لأحكام القرآن** جـ٤، جـ١٦، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٣- قطب، سيد، (١٩٦٧) **في ظلال القرآن**، ط٥، بيروت، د.ن.

٢٤- قطامي، يوسف، (١٩٩٠) **تفكير الأطفال**، تطوره وطرق تعليمه، ط١، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع.

٢٥- اللقاني، أحمد حسين، (١٩٧٩) **المواد الاجتماعية وتنمية التفكير**، القاهرة، عالم الكتب.

٢٦- ويتيج، أر نوف، (١٩٧٧) **مقدمة في علم النفس**، ترجمة عادل عز الدين الأشول وآخرون، مراجعة عبد السلام عبد القادر عبد الغفار، القاهرة، دار ما كجر وهيل للنشر.

المراجع الأجنبية:

1 - Bruner, Jerome S, **The Process of Education,** (1963) New-York, Vintage Books..

2 - Ennis, R. H, Goals **for a Critical Thinking Curriculum in A. Costa** (Ed) , Developing Minds , Alexandria , VA.ASCD.

3 - Joyce , Bruce and Weil , Marsha ,(1986) **Models of Teaching,** New Jersey, Prentice- Hall , Inc. Englewood Cliffs..